(١)

من مواقف الشرف والنبل في السيرة النبوية المشرفة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين، **وبعـد:**

فما عرفت البشريةُ كلُّها أنبلَ، ولا أشرفَ، ولا أعظمَ من سيدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الذي جاء بالهدى، ودين الحق، ليخرج الناس من ضيق الجهل، والعنت، والضيق، إلى سعة العلم، واليسر، والتحضر، فقد كان الناس قبل البعثة في جاهلية؛ يعبدون الْأَصْنَامَ، ويأتون الْفَوَاحِشَ، ويقطعون الْأَرْحَامَ، يأكل الْقَوِيُّ منهم الضَّعِيفَ، حتى جاء رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى عبادة اللهِ تعالى وحده، ويأمر بالصدق، والحق، والعدل، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَينهى عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، ولم يأمر بشيء (صلى الله عليه وسلم) إلا وكان أول من يطبقه، ولم ينه عن شيء إلا وكان أول من يبتعد عنه، تقول له السيدة خديجة (رضي الله عنها): (واللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ).

ولقد حبا الله تعالى نبينا (صلى الله عليه وسلم) بكل صفات الكمال البشري، فكان (صلى الله عليه وسلم) أوفى الناس، وأعرف الناس بالفضل والجميل، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا

يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)، ولقد امتد وفاؤه (صلى الله عليه وسلم) لينال أعداءه، يقول سيدنا حُذَيْفَة بن الْيَمَانِ (رضي الله عنه): مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُ إِلا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: (انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ)، ولم ينس (صلى الله عليه وسلم) موقف المطعم بن عدي الذي أجاره بعد عودته من الطائف، وقال (صلى الله عليه وسلم) في أسارى بدر: (لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاءِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ).

وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) صادقًا أمينًا، وذلك بشهادة أعدائه قبل أتباعه، فحين قال لقريش: (لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟)، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا)، وبرغم عداء قريش له، وتظاهرهم على قتله، إلا أنه كان حريصًا على أن يرد إليهم أماناتهم حين أراد الهجرة، وعهد إلى سيدنا علي (رضي الله عنه) أن يقوم بذلك، وهو القائل (صلى الله عليه وسلم): (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)، ولما دخل (صلى الله عليه وسلم) مكة فاتحًا منتصرًا قال لأهلها قولته المشهورة: (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ).

كما كان خلق الشجاعة من الصفات النبيلة لنبينا (صلى الله عليه وسلم)، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ (مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ)، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: (لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا)؛ أي: لا تخافوا، ولا تفزعوا، ويقول سيدنا

عليّ (رضي الله عنه): (كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ- اشتدت الحرب- وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَما يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ).

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد علمنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) كل معاني النبل، والسمو، والشرف، والشهامة، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللهَ (عز وجل) كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا)، وكان (صلى الله عليه وسلم) ملتزمًا بهذه المكارم حتى في أصعب الأوقات وأشدها، فكانت من وصاياه (صلى الله عليه وسلم في أوقات الحروب: (لا تَغُلُّوا، ولا تَغْدِرُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، فهذا عَهْدُ اللهِ وسيرةُ نبيِّهِ فِيكُمْ).

لقد أسس النبي (صلى الله عليه وسلم) لكل معاني السمو، لا يعرف الشطط، ولا الغلو، ولا ينتقم لنفسه، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولم يكن (صلى الله عليه وسلم) سبّابًا ولا فحّاشًا قط؛ بل كان رحمة للعالمين، يقول سيدنا أنس (رضي الله عنه): خدمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عشر سنين، والله ما قال لي: أفٍّ قط، ولا قال لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا.

فما أحوجنا إلى التأسي بهذه الأخلاق النبيلة، والصفات الجليلة، والمواقف المشرفة في السيرة النبوية المطهرة؛ لنكون بحق خير أمة أخرجت للناس.

اللهم ارزقنا صدق محبتك، وحسن اتباع نبيك (صلى الله عليه وسلم).